المستوى : سنة ثانية ليسانس

المقياس : اروبا في العصور الوسطى

المحاضرة رقم 04: الإمبراطورية الرومانية و المسيحية

1/ المعتقدات الدينية وتطورها عند الرومان:

انتشرت الوثنية بين الرومان، والتي لم يكن لها تأثير في نفوس معتنقيها، بالرغم من تقديم الق ا ربين لهذه الإلهة، وكان مبتغاهم في ذلك تحقيق مصالحهم الدنيوية لا غير، حتى أن الرموز الوثنية الأخرى التيوجدت في أنحاء الإمب ا رطورية مثل غاليا وبريطانيا، كانت هي الأخرى رموزا شكلية لا أثر ديني لها في نفوس معتقديها .وفي هذا الف ا رغ الروحي توجه سكان الامبراطورية إلى معتقدات أجنبية لعلهم يجدون مرادهم في ذلك، وخاصة المستوردة مثل عبادة سيبل Cybele من بلاد من آسيا الصغرى، وميثا رس من Mithras الشرق فارس، وايزيس من مصر. بل توجهت العبادة الرومانية إلى تقديس الأباطرة وعبادتهم إلى جانب عبادة الآلهة مثل جوبيتر ويونو ومينرفا، بل هناك من اعتقد بأفكار الرواقيين، وما تنطوي عليه من أخلاق سامية، وإيمان بكل الآلهة، إلى أن ظهرت المسيحية وانتشرت).بين أبناء الامبراطورية وتزايد معتنقوها.

ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ببيت لحم جنوب القدس، في عهد Augustus (الامبراطور أغسطس 27ق.م 14 -م، والحقيقة لا علاقة بين الديانة الجديدة والديانات الأخرى، لأن قصة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فاقت كل القصص الديني في تلك الفترة، إذ أن تعاليمه مستقاة من الكتاب المقدس يمكن أن يفهمه ويتأثر به العامة والخاصة، عكس الفلسفة اليونانية التي لا يمكن أن يفهمها إلا المثقفون ذوي الفكر. فالمسيحية دينا سماويا لم تختص بفئة معينة أو فريقا دون الآخر، وبذلك كان سر انتشارها وتفوقها على العقائد المعاصرة لها هذه الديانة السماوية الجديدة التي أسقطت الفوارق بين). العبيد و الاحرار والأغنياء و الفقراء ، بل بشرتهم بالخلاص من دولة الأغلال والطغيان ، ويرجع الفضل في العصر الأول للمسيحية إلى القديس بولسSaint Paul حيث قام هذا الأخير بتنظيم المجتمعات المسيحية الأولى، وذلك بوضع قواعد اللا هوت، وما يرتبط به من فلسفة المسيحية المتعلقة بالأخلاق والآخرة، كالموت والبعث والحساب والخلود، بالإضافة إلى جهوده في وضع دعائم الكنيسة الكاثوليكية .وأخذت المسيحية في الانتشار شيئا فشيئا، ولم يكد ينتهي القرن الأول، إلا وأصبحت كل ولاية رومانية مطلة على البحر الأبيض

المتوسط تضم مجموعة مسيحية، بل في روما نفسها في وقت مبكر من سنة 64 م مما جعل الامبراطور نيرون (Neron) 54-68 .م ينتقم من المسيحيين ويضطهدهم .

2/ -**عوامل انتشار المسيحية في مختلف أرجاء الامبراطورية :**

كانت أوضاع الامبراطورية حينها أكبر مساعد على انتشار المسيحية، ويمكن حصر هذه العوامل في عدة نقاط منها:

- وجود شبكة واسعة من الطرق الضخمة التي ربطت بين أرجاء الامبراطورية
- الأمن والسلام اللذان سادا في ربوع الامبراطورية .
- نشاط حركة التبادل التجاري بين مختلف الولايات الرومانية.
- سيادة اللغة اليونانية في الشرق و اللاتينية في الغرب، مما جعل من السهل انتقال الأفكار. والمعتقدات بين مختلف أرجاء الامبراطورية

لقد كان دعاة المسيحية الأوائل يحثون أتباعهم على الزهد في الدنيا، ومنهم ترتوليان Tertullian ولد حوالي سنة 150 م الذي كان يحث المسيحيين على الابتعاد عن الدنيا، ويرفض التجنيد في صفوف الجيش الروماني، اعتقادا منه أنها إمب ا رطورية آثمة، كما جهر).بعض رجال الجيش المسيحيين بالعصيان والامتناع عن تأدية خدمتهم العسكرية .

3/ -**رد فعل الأباطرة تجاه معتنقي المسيحية:**

كان أتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من البؤساء و الفقراء والبسطاء في المجتمع، لذا لم يعرهم الحكام أي اهتمام واعتبروهم مثل سابقيهم من اليهود، ولكن بعدما تبين أن هؤلاء كانوا رافضين لعبادة آلهة الرومان، هناك ساور الشك الأباطرة في أن هذه الفئة من و ا رئها أمر عجب وكان رد فعلهم قاسيا تجاه هذه المجموعات والانتقام منهم، وتقديم الكثير منهم كغذاء للأسود الجائعة، وذلك لم يزد الجماعات المسيحية، إلا صلابة وتفاخر بالشهادة .وبالرغم من المبالغة في عدد القتلى، إلا أن هناك اضطهادا شهده المسيحيون منذ القرن الأول في عهد نيرون إلى بداية القرن الرابع في عهد حكم .الامبراطور دقلديانوس.

وبالرغم من الاضطهاد المسلط على رقاب المسيحيين طيلة عقود من الزمن، لم يمنعهم من ممارسة عقيدتهم، لأن روح الشجاعة والصبر والإيمان لشهداء المسيحية ا زدهم إعجابا وإقبالا على المسيحية . وبهذا أصبحت الديانة الجديدة أم ا ر واقعا فرض نفسه على الأباطرة والقبول به، وهذا ما أدى الامبراطور قسطنطين الاعتراف بالمسيحية في مرسوم ميلان سنة 313م كإحدى الشرائع المصرح بها داخل الامبراطورية ، وتمتع أصحابها بحقوقهم مثلما لأصحاب الش ا رئع الأخرى .واختلف كثير من المؤرخين حول قسطنطين وإصداره مرسوم ميلان، هل كان ذلك من عقيدة صادقة وإيمان مسيحي، أو أنه مجرد اجراء سياسي لتحقيق أهداف خاصة .

4/ المذهبية في المسيحية في القرون الأولى:

بعد أن انتشرت المسيحية وأصبح أتباعها ظاهرين للعيان، هناك ظهرت المذهبية فيها وهذا من خلال ما دعا إليه القس السكندري آريوس، حيث كانت تعاليمه تنص على أن المسيح الابن أقل من الأب في الجوهر، بل أن المسيح نفسه مثل سائر البشر، وقد نوقشت هذه الأفكار في **مجمع نيقية** سنة 325م برئاسة الامبراطور قسطنطين، حينها برزت في المجمع شخصية أثناسيوس Athanasius السكندري مقدما حجته فتم دحض اراء آريوس، .بل اتهموه بالهرطقة،" لأن ألوهية المسيح هي أملهم الوحيد الذي يربطهم بالله الأب " .

غير أنه في سنة 334 م تم عقد مجمع ديني في صور ألغى قرارات مجمع نيقية وعفا عن آريوس وأتباعه في غاليا وظل هناك ، بالمقابل أدان أثناسيوس ونفيه إلى تريفTrèves ، إلى أن أطلق سراحه في عهد جوليان المرتد وفي سنة 381 م تم عقد مجمع القسطنطينية في عهد الامبراطور ثيودوسيوس لمناقشة أراء ماسيدونيوس Macedonius التي تقول بأن الروح القدس أقل من الأب والابن في الجوهر، أي أن هذه النظرية لها نفس التهديد الذي هدد به آريوس نظرية التثليث، ولذلك جدد المؤتمرون قانون الإيمان بمجمع نيقية،" وأكدوا ألوهية الروح القدس"، واستقرت مسألة الثالوث بعد مجمع القسطنطينية .غير أن الكنيسة اللا تينية قد أضافت عبارة تقول":انبثاق الروح القدس من الابن أيضا"، وهذه العبارة الجديدة على قانون الإيمان ظهرت لأول مرة في اسبانيا في مؤتمر طليطلة سنة 589م، بعد ذلك تبنتها الكنيسة الفرنجية .وقد كان لذلك اثار خطيرة في تعميق الخلافات بين الكنيسة الشرقية وكنيسة روما، وكانت نتيجته حدوث الانشقاق بينهما، كما تم في مجمع القسطنطينية رفع مكانة كنيسة بيزنطة إلى الرتبة الثانية بعد كنيسة روما .

5/ صحوة الوثنية واندثارها تدريجيا:

كان الامبراطور قسطنطين يقف موقف وسط، ولم يرض بالتعميد إلا سنة 337م، غير أن أبناءه أعلنوا عداءهم للوثنية، بل شنوا حملة اضطهاد ضدها وصادروا أملاكها، وما إن حلت سنة 340 م، حتى مُنع تقديم القرابين للآلهة، بعد ذلك أغلقت معابدها.

وبمجيء الامبراطور جوليان الملقب بالمرتد 363 -361 عادت للوثنية صحوتها حيث فُتحت معابدها وعادت للوثنيين هيبتهم، غير أننا لا ننكر بأن جوليان غير متعصب ضد المسيحية، لأنه نفسه كان يمتدح مبادئها مثل الإحسان والرحمة والعطف على الفقراء والمرضى .

ولكن بمجيء الامبراطور " **ثيودوسيوس**" الذي نجح في توحيد العالم الروماني سنة 394م، كان قد خاض حربا ضد الوثنيين، كما قام ابنه أركاديوس 394-408م بتهديم المعابد الوثنية، واستعمال أحجارها في المباني العامة، وبقيت الوثنية في عزلة تامة في ايطاليا وغاليا حتى القرن السادس الميلادي.

6/ **ظهور الكنيسة وتنظيمها :**

لم يكن لمعتنقي المسيحية الأوائل كنائس يؤدون فيها عبادتهم ، غير أنه على ما يبدو أصبحت لهم كنائس وتوسعوا في بنائها بعد مرسوم ميلان سنة 313 م.

على أ رسها البابا الذي يستمد سيادته من خلافته لبطرس في كرسيه الأسقفي بروما، ويأتي بعده في الرتبة الكاردينال .هذا بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية، أما في الشرق فنجد البطريرك على أ رس الكنيسة الأرثوذكسية.

ومن جهة تنظيم الكنيسة الغربية فقد انقسمت إلى أسقفيات، يديرها الأساقفة وبدورها تم تقسيم الأسقفيات إلى أبرشيات يشرف على إدارتها .القساوسة .

وإذا ما نظرنا إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة في الشرق نجد أن الأباطرة فرضوا سلطانهم على الكنيسة، وأصبح ما يعرف بالقيصرية البابوية، أي أن الامبراطور هو السيد الحقيقي لكل من الكنيسة والدولة .وأما في الغرب اللا تيني فقد بدأت الكنيسة تفرض سيطرتها، منذ القرن الخامس الميلادي لأن الإمب ا رطورية بدأت تتداعى خاصة مع زحف القبائل الجرمانية، وبدأت الكنيسة تفرض وجودها واستقلالها عن الدولة شيئا فشيئا، وبهذا لم .تندمج الكنيسة والدولة في العصور الوسطى إطلاقا، وظل بينهما صراع محتدم.